الثّورة الجزائريّة في الخطاب الشّعري العربي المعاصر من الالتزام إلى الأدبيّة

د. العـارم عـزّاني و د. نجمة زقرور،

قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمّد لمين دبّاغين سطيف٢، الجزائر

الملخص

نسعى من خلال هذه الأوراق إلى معرفة مدى احتواء الثورة الجزائرية في الخطاب الشعري العربي المعاصر كقضية، ثم تجاوز الطرح إلى الخصيصات الأدبية لهذا الخطاب الشعري، وللتطرق إلى هذا، حددنا مباحث تمأسست على ما قبليات البوح، وبوح الشعراء من االالتزام إلى الأدبية، وهنا فصلنا الحديث إلى شقين يشمل الجزء الأول منهما الثورة الجزائرية في الشعر المشرقي، وأما الشق الثاني فيخص الثورة في الشعر الجزائري. من أهم النتائج التي نرجو التوصل إليها، يمكننا حصرها في إثبات تنوع أقطار العالم العربي التي انبثقت منها قصائد الاحتواء للثورة، فضلا عن شعراء الجزائر. ومن النتائج أن نتبين مدى إبداء الشعراء في خطاباتهم الشعرية العربية المعاصرة مواقفا لهم مطبوعة بالالتزام مع الثورة الجزائرية، ومما نشيد به انبناء المواقف ضمن أنساق متنوعة ومتعددة الأطياف نورد منها نسق المساندة مع جميل حافظ، المشاركة الوجدانية مع نزار قباني، التغني بالفاتح من نوفمبر مع أبي القاسم سعد الله، التغني بالوحدة المغربية مع محمد المرزوقي، الترغيب في الاستشهاد مع محمد العيد آل خليفة. وأخيرا الالتزام بالموقف مع الثورة الجزائرية، لا يلغي أدبية الخطاب الشعري العربربي المعاصر، وهو ما نسعى إلى تحديده بين تأثيثات البلاغة الجديدة من أسطورة ورمز، وبين البلاغة الكلاسيكية من تشبيه، واستعارة ومجاز.

الكلمات المفتاحية: الثّورة، الجزائرية، الالتزام، الأدبيّة.

أوّلا. ما قبليّات البوح:

التأكيد على البقاء، والفاعلية المستمرة، والقيمي، لهي بعض من أهم المحطات التي وقفت عندها البشرية في جزء من كينونتها داخل هذا العالم، وهي تتلمس حتمية تسارع إيقاع المتغيرات، مراجعة الذات، فضلا عن الرغبة في تجديد الراهن، لتكون هذه وغيرها مولدات لصناعة ما أشير إليه بمصطلح الثورة*، فباتت الإنسانية وهي في عمق التاريخ شاهدة حكايات عن ثورات تغيا بها أصحابها تغيير الراهن، ومنها نورد -على سبيل التمثيل- الثورة الفيتنامية، الثورة الصينية...، والثورات العربية، هذه الأخيرة التي هي محط اهتمامنا، حيث السبب الأكبر فيها هو معاناة الأوطان العربية من "الاستعمار الأجنبي".

لئن اختلفت على أراضيها مسمياته، صوره، وأشكاله، إلا أن هذا الاستعمار يبقى عامل استلاب فيها وعلى كل الأصعدة مما أثر على الأوطان العربية كثيرا، فاستدعى الحدث تدخل المفكرين، المؤرخين، السياسيين، وحتى الشعراء العرب، ليسجلوا وبقوة مع تباشير ما قبليات البوح التزامهم بقضايا أمتهم عبر أفضية خطاباتهم الشعرية، والبيان التاريخي مع أمير الشعراء أحمد شوقي (١٨٦٨م – ١٩٣٢م) وبكائيته "سلامٌ من صَبا بَرَدَى أرقُّ"، إذ بواسطتها أسمعنا الشاعر صرخته من مصر، وهو بحديقة الأزبكية في يناير من سنة ١٩٢٦م، أراد أمير الشعراء بتلك الصرخة مساعدة سوريا بعد أن نكبت فيها دمشق بالمنجنيق على يدي الاستعمار، يقول الشاعر:

سلامٌ من صَبا بَرَدَى أرقُّ   ودَمْعٌ لا يُكَفْكَفُ يا دمشقُ
وبِي مما رَمَتْكِ به الليالي   جِراحاتٌ لها في القلبِ عمقُ
تكادُ لِرَوْعة الأحداثِ فيها   تُخَالُ من الخُرَافةِ وهْي صدقُ
بـلَيْـلٍ للقذائـفِ والمنايا   وراءَ سَمَائه خَـطْفٌ وصَعْقُ

وللمُستعمرِيـن وإن ألانوا　　قُــلوبٌ كـالحـجـارةِ لا تـرقُ

(شوقي، ۲۰۲۰، الصفحات ٤۲۸–٤۳۰)

وفي الطرف النائي من أرض العم سام ولدت قصيدة "نبك موتانا" لميخائيل نعيمة (۱۸۸۹م – ۱۹۸۸م)، وكان يومها بالمهجر الأمريكي الشمالي عضوا من أعضاء الرابطة القلمية، فتشارك الشاعر في قصيدته اللبنانيين مآسيهم وذلك إثر محنتهم الكبرى التي كانت أيام الحرب العالمية الأولى، حيث سُجل فيها مقتل عديد الأبناء من اللبنانيين، وكانوا وقتها من الشباب، فجاءت أبياته مشاركة وجدانية يروي فيها نعيمة:

أخِي إنْ ضَجَّ بعدَ　　الحَرْبِ غَربي بأعْمالِه

وقَدس ذكرَ من ماتُوا　　وعظمَ بَطش أبْطالِه

فلا تَهْزَج لمنْ سادُوا　　ولا تَـشمت بمـن دَانَا

بل اركَعْ صامتًا مِثلي　　بــقَلْــب خَـاشع دَام

لـنبْكِ حـظَ مـوتانَا

(لهواري، ۲۰۰۹، صفحة ۱۱۷)

ويستمر الموقف مع الشعراء إزاء قضايا الأوطان العربية، فها هو الشاعر اللبناني مطران خليل مطران(۱۸۷۲م – ۱۹٤۹م) وهو يرثي في قصيدة له الشهيد الليبي عمر المختار الذي أعدمه الاستعمار الايطالي في طرابلس الغرب، بعد أن ظفر به، يقول مطران:

أَبَيْتَ وَالسَّيْفُ يَعْلُو الرَّأْسَ تَسْلِيمَا　　وَجُدْتَ بِالرُّوحِ جُودَ الحُرِّ إنْ ضِيمَا

لَـكِنَّهَا عِـظَةٌ لِلشَّــرْقِ أَوْسَعَـهَا　　مُصَابُهُ بِـكَ فِي الأَخْلاَدِ تجسِيـمَا

هَيْهَـاتَ نُـوَفِيكَ والأَقْـوَالُ عُدَّتُنَا　　حّـقًا ونُـوَفِي الصَّنَادِيدَ المَقَاحِيـمَا

(خليل، د.ت، الصفحات ۸–۹)

غيض من فيض، حيث الموقف من الشعراء العرب إزاء قضايا أمتهم، مؤكدين بذلك على حضورهم بالكلمة، وفاعليتهم في رسم كينونة الخطاب الشعري التزاما بقضايا هذه الأمة العربية في مشرقها ومغربها وهي تئن تحت نير الاستعمار، وإيمانا منهم بالمساهمة في صناعة المغاير ضمن عوالم الممكنات، تحت إمرة الوعي الجديد والمتفلت من إسار الوهم الذي صبغ به الاستعمار الغربي العقل العربي، ولسان حال الشاعر في الأوطان العربية يشدو مرددا:

ومَواطِن الأرواحِ يعْظمُ شَأنُها　　في النَّفس فوق مَوَاطِن الأجْسَادِ

(لهواري، ۲۰۰۹، صفحة ٤٤)

إذًا، هو الموقف من قبل الشعراء العرب التزاما بقضايا أمتهم، إلا أنه يبقى هناك الأهم في مدارج الحديث عن تلك المواقف، إنها القضية التي شغلت القاصي والداني، العام والخاص، المثقف والأمي، إنها "الثورة الجزائرية** المباركة"، هذه الأخيرة التي تعاضد معها الشعراء العرب لحمة وسداة وفي الأقطار العربية، حيث أثبتوا حضورهم الفاعل والمتفاعل معها، قلبا وقالبا، روحا وكلمة؛ والسر الأعمق في الانشغال بها قضية أمام الرأي العام، كونها "ثورة الحرية والتغيير، وثورة الإنسانية في كل بقاع العالم..، إنها ثورة الحق.. والكرامة" (سامعي، ۲۰۱۲، الصفحات ۹–۱۰).

بناء على ما سيق، تتبلور معنا مساءلة الثورة الجزائرية في الخطاب الشعري*** العربي المعاصر، سواء تعلق الأمر بشعراء المشرق والمغرب العربيين بصفة عامة، أوتواشج الطرح مع شعراء الجزائر على وجه أخص، وانطلاقا من هذه البؤرة يتفرع حديثنا إلى أبرز المفاصل الكبرى لهذه الأوراق البحثية، وعليه،

– ما هو موقف الشعراء العرب من الثورة الجزائرية على صعيد النسيج الشعري؟

– كيف تمظهرت تلك المواقف وهي تنبثق من عباءة الالتزام بالثورة الجزائرية قضية في أشعارهم؟

–ما هي حظوظ الأدبية من شعر الثورة الجزائرية عربيا ومحليا؟

ثانيا. بوح الشّعراء من الالتزام إلى الأدبية:

١.٢ الثّورة الجزائريّة في الشّعر العربي:

في زاوية من الطرح تتأسس كينونة الشاعر العربي في مشرقه ومغربه من خلال رسمه لعلاقته مع الثورة الجزائرية، هذه الأخيرة وهي تتجلى كحتمية لا مفر منها في النسيج الشعري وقد خطها سواد الموقف، وهذا الأخير إنما هو نتيجة الوعي لدى الشاعر العربي، حيث الباعث عليه إنما هو نقد الشعراء الأوضاع التي آلت إليها الجزائر، فضمنوا بذلك الوعي التحرر "إلى حد ما من أسر البرمجة التي يهيئها الأعداء والعملاء والمنتفعون من وراء انتشار الفساد، وغياب موازين الحق والعدل" (بكار، ٢٠٠٠، صفحة ٤٠). إنه الحيف الذي لحق بالجزائر أولا، ثم ثورتها ثانيا وقد أدرك الشعراء العرب ذلك، فما كان على الشاعر المشرقي أنموذجا إلا أن يأخذ له موقفا مع الثورة الجزائرية وقد تمظهر ذلك ضمن نسق المساندة لها، وتأكيد ذلك قد أقر به أحد الرواد المصريين المهتمين بالثورة الجزائرية، حيث أسر إلينا: "وكنا في مصر ندرك أيضا أن معركة الشعب الجزائري ليست معركته وحده، ولا هي معركة الوطن العربي في الشمال الغربي الإفريقي فحسب، وإنما هي معركة العالم الثالث كله، معركة الشعوب المسْتعبَدَة المنهوبة ضد أعدائها من المستعمرين المستغلين، معركة التاريخ لكي يشق طريقه الحتمي إلى الأمام" (الباب، ١٩٩٧، صفحة ١٨)

بهذا الإسْرار لامس بوح الشعراء المشارقة في قصائدهم مساندة الثورة الجزائرية بوقوفهم إلى صفها، والدليل التاريخي من الشعر قصيدة حافظ بن عبد الجليل بن أحمد آل جميل (١٩٠٨م – ١٩٨٤م)، هذا الشاعر العراقي الذي ألهبته الثورة الجزائرية مع باقي إخوانه من الشعراء العراقيين، حتى كان من عددهم ومن قصائدهم كتابا بقسمين الأول والثاني، جمعه الدارس سعدي عثمان حول الثورة الجزائرية في الشعر العراقي فقط.

تتوسع تمظهرات نسق المساندة مع حافظ العراقي إلى أنساق المشاطرة والتأييد للثوار الجزائريين حين رفضوا العبودية، الاستسلام، الخنوع للمستعمر، تمسك الثوار بالصلابة والعزيمة والشجاعة، وإصرارهم على حربهم المستمرة له، وبهذا يكون الشاعر قد قارب بريشته رسم صورة الثوري وهو يبني "عالما كاملا بصورة مستقلة، حسب مثله العليا" (فاديم، ٢٠١١، صفحة ٤٢٨)، حيث انوجاد هذا الثوري يكون خارجا ومنفصلا عن مجموع الأنساق المشوهة والمرتبطة بالمستعمر الفرنسي، بأسلوب تقريري، يكاد يخلو من المسحة الأدبية، يقول الشاعر مساندا:

طريقُ الحربِ وعرٌ يا فرنسا   وكم أنْضَى جهود السالكينَا
قطعتِ به السنينَ السبع هوجًا   وكم سبعٌ هناكَ ستقطعِينَا
وفلَّتْ عزمكِ النّكباتُ وهْنًا   وما أوْهَنْتِ عزم الثائرينَا
أبيتِ لهم سوى التسليمِ حلاًّ   وعزّ اليومَ يوم يُسلِّمونا
فما ثاروا ليرتدوا عبيدًا   ولا نفروا ليمضوا خاضعينا
ولا شهرُوا سلاحَهم ليجثوا   أمامك رُكّعًا يتضرَّعُونَا

(سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، ١٨٨١، صفحة ٣٣٤)

وتبقى الثورة الجزائرية جزءا لا يتجزأ من الشعر المشرقي، إلا أن الوضع في سوريا ومع نزار بن توفيق القباني (۱۹۲۳م – ۱۹۹۸م) على وجه التحديد ينعطف صوب مسارب أخرى، حيث يخصص نزار فضاءً في النسيج الشعري لتقييد موقفه من الثورة وقد تمظهر هذا الأخير ضمن تفعيل نسق المشاركة الوجدانية، مع الاحتفاظ بشيء من الخصوصية القبانية، وبهذا كانت الرحلة النزارية مع الأنثى رسما للمغاير، فـ"ـرحلة الاستكشاف الحقيقية لا تكمن في اكتشاف بلدان جديدة وإنما في رؤية الحقيقة بعيون جديدة" (أولريش، ۲۰۰۱، صفحة ۱۲)، فتملص النسيج الشعري النزاري من تحسس الأنثى بكل تجلياتها تضاريسا، لذة، وراح الشاعر يغرف من معين الموقف التزاما أمام الأنثى "بما [هي] الشهيدة والمجاهدة والمناضلة.. ولما كانت جميلة بوحيرد رمزا للجزائرية المقاومة، فقد خصّها، في ديوانه «الأعمال السياسية»، بقصيدة تحمل اسمها" (إفراح، ۲۰۱۸)

هكذا وقف نزار قباني أمام المجاهدة جميلة بوحيرد بعيون أخرى فكانت الرؤية جديدة، حيث الأنثى التي مثلتها بوحيرد هي تلك المقدسة التي تسامت إلى عوالم غير مألوفة في النص النزاري، أنثى استوحت قدسيتها من قدسية الثورة الجزائرية في حد ذاتها، فتغنى بها الشاعر نزار ثورة، حدثا، انتصارا، مجدا للوطن وللأمة العربية قاطبة، ولقد أبرز الشاعر ذلك من خلال تأثيثات كلاسيكية تعود مرجعيتها إلى صور بلاغية تراثية أكبر نسبة فيها تعود إلى التشبيه، فتغدو جميلة كشلال الأحزان، كالصيف، وعيناها كقنديلي معبد، يقول الشاعر في مقطع اختاره ليكون بمثابة بطاقة هوية للمجاهدة:

الاسمُ: جميلةُ بوحَيْرَدْ
رَقْمُ الزنزَانَةِ: تسعونا..
في السجن الحربيّ بوَهْرَانْ ..
والعمرُ: اثنانِ وعِشْرُونا
عينانِ كقنديليْ معبَدْ
والشَّعْرُ العربيُّ الأسودْ
كالصيفِ، كشلاَّل الأحزانْ
وامرأةٌ في ضوءِ الصُبْحِ..

(القباني، الأعمال السياسية الكاملة، د.ت، الصفحات ٥١-٥٢)

ينزاح نزار قباني في قصيدته قليلا ليتقمص دور المؤرخ لكل صنوف التعذيب، الذي خص به الاستعمار المجاهدة جميلة بوحيرد حتى أتعبت البطلة المستدمر؛ فقد كانت تزداد جلدا، تثبيتا، وإيمانا منها بأنها والحرية وشعبها على موعد... وهي في ريعان الشباب:

أطولُ نَخْلَةْ
لَمَحَتْهَا واحاتُ المغْرِبْ
أجملُ طِفْلَةْ
أتْعَبَتِ الشمسَ ولم تَتْعَبْ
يا ربيّ. هل تحتَ الكَوكَبْ؟
يوجد إنسانْ
يرضى أن يَأْكُلَ.. أنْ يَشرَبْ
من لحم مُجَاهدة تُصْلَبْ..
انْتصَروا الآنَ على أُنثى

أُنْثَى.. كالشَمْعة مصلوبَةْ
القَيْدُ يعضُّ على القَدَمينْ
وسجائرُ تُطْفَأ في النهدينْ
ودمٌ في الأنف..
وفي الشفتينْ..
وجرَاحُ جميلةَ بوحَيْرَدْ
هي والتحريرُ على موعِدْ
(القباني، د.ت، الصفحات ٥٣-٥٤-٥٥)

من هذه البؤرة المخزية التي صنعها المستعمر في حق أنثى تطمح إلى الحرية من أجل الوطن، تتحقق المشاركة الوجدانية من قبل نزار للبطلة بوحيرد، فلم يرض الشاعر إلا أن ينحتها على جسد نصه جميلة الحدث، وجميلة الوطن، وجميلة البطولة، وهي تقاوم بالصمود أعتى قوة استعمارية حتى هزمتها بقضيتها وبمبادئها، وانتصرت بوحيرد لوطنها وللأمة العربية قاطبة، وصارت تاريخا ترويه الأجيال، بل صارت مفخرة العرب قاطبة، يقول الشاعر:

الاسمُ: جميلةُ بوحَيْرَدْ
تاريخٌ: ترويهِ بلادي
يحفظهُ بعدي أولادي
تاريخُ امرأةٍ من وطني
جَلَدتْ مقصلةَ الجلاَّدِ..
امرأةٌ دوّخَتِ الشمسا
جرحتْ أبعادَ الأبعادِ..
ثائرةٌ من جبل الأطْلَسْ
ما أصغَرَ (جانْ دارْكَ) فَرَنْسَا
في جانب (جانْ دارْك) بلادي
.. (القباني، د.ت، الصفحات ٥٧-٥٨)

ويبقى الحدث الأبرز أن جميلة بوحيرد قد أصدرت فرنسا في حقها قرارا يتضمن الحكم عليها بالإعدام وحددت ذلك يوم الجمعة، فهبت قرائح ومشاعر الشعراء مع جميلة العرب موقفا واحدا، ملتزمين بها قضية عربية خالصة، متجاوزين المشاركة الوجدانية إلى المساندة كقضية عادلة، فرصدنا في مجلة الآداب عددا من القصائد، حيث كتب شفيق الكمالي "جميلة"، وأنتج قصيدة "الجمعة الحزينة" الشاعر نجيب سرور، كما نظم محمد المصري "جزائرية"، وبما أن الرأي العام كان أقوى انتصرت جميلة بوحيرد مرتين، الأولى كانت على الاستعمار بالصمود في وجهه تمسكا بمبادئها الثورية، والانتصار الثاني بتكاثف القوى العربية والعالمية في مناهضة الاستعمار ومساندة البطلة المجاهدة في قضيتها (مجلة الآداب، ١٩٥٨)

ومع المزيد من صور معاضدة البطلة الثورية جميلة بوحيرد نستشهد بقصيدة الشاعر الأردني عيسى ناعوري (١٩١٨م — ١٩٨٥م)، وهو يشيد ببسالة البطلة وشعبها، حيث يقول:

جميلةُ يا شعلةً من جحيم   تَصب على أكبدِ الظالمين
ويا قبسًا من لهيبِ الكفاحِ   يـنيرُ المسالـكَ للعـالمين

ألستِ ابنة الثائرين الأباةَ بـأرضِ الجزائرِ لا يرهبون
يُغنون للموتِ حلوَ الغِناءِ ويــلقونَ أهـوالَهُ ضاحكين
بـطولاتكم يـا فتاة الجبـال دروس تــردد في كـل حين
تَــذوبُ الأسـاطيرُ قدامها وأعـداؤُكم عـنـدهَا يهلعون

(مجلة الآداب، ۱۹۵۸، صفحة ۱۱)

تستمر تباشير البوح التزاما بالثورة الجزائرية في الخطاب الشعري العربي المعاصر، حيث ما زلنا نرصد فيه إنتاجية واسعة، ولكن هذه المرة الشاعر بدر شاكر السياب (۱۹۲٦م–۱۹٦٤م)، في قصيدته "رسالة من مقبرة (إلى المجاهدين الجزائريين)" فقدكان الشاعر يروم تسقية التحريض على الثورة:

من قاع قبرِي أصيحْ
حتى تئِنَّ القُبُورْ
من رَجْع صوتي وهو رمْلٌ وريحْ
في فوهة القبر المغطاة سطور
هذا مخاض الأرض لا تيأسي
بشراك يا أجداث حان النشور
بشراك ... في وهران أصداء وصور
سيزيف ألقى عنه عبء الدهور
واستقبل الشمسَ "الأطلس"
أه لوهران التي لا تثور

(شاكر، ۲۰۱۵م، صفحة ۵۷، ۵۹)

لقد راح الشاعر في نسيجه الشعري يمزج بين الالتزام والأدبية لحمة وسداة، فكانت أسطورة سيزيف محينة لتوليد دلالة جديدة، وهي سقوط العبثية، واللاجدوى عن كل حركة، وبلوغ الثورة الجزائرية مرحلة الجد، الصرامة، وتحقيق الهدف المتمثل في الاستقلال.

ماتزال بالشعراء المشارقة صولة أخرى يجليها الموقف من الثورة الجزائرية، وقد تمظهرت تمجيدا واعتزازا بها، بأسلوب مباشر قلت فيه الصناعة الأدبية إلى حد شبه انعدامها، بسبب غلبة المعنى على المبنى، يقول الشاعر العراقي علي محمد الحائري (۱۹۳۳م – ۱۹۹۹م)

حَيِّ البطولات تعنُو دُونَها الدُّولُ ويحفلُ الصَّارمُ الهــــــندي والأسَلُ
حيِّ المنايَا على أرضِ الفِدا ومَنْ في الخَافِقينَ سرتْ في عَزمِهِم مَثَلُ
أزاهرٌ عَبقتْ في روضِ مَلحمَةٍ تَقاعسَ النَّكسُ عنها وارْتَمى البَطلُ
طُلابُ حق صِلابٌ في عَزائِمهم ثَبْتُ القلوبِ إذا مـــــا قُوِّض الجبَلُ
ومَـــنْ تَدعَّمَ بالإيمــــان مِقْوَدُه فـــــليس يُـــقْعده وهَــــنٌ ولا أجَلُ
وسَــــائرينَ إلى الهَيْجَا جَوانحهم تَهْفو وألْسُنهــم بـــــــالشَّوقِ تَبْتَهِلُ
والحُـــــرُّ يأْنَفُ أن يَنْقاد مِقْودُه وأن يـــهَان وإن ضاقت بـــه الحِيلُ

ففي المنايا لِصَوْن المجد مُتّسعُ   وفي القِــــراعِ لدرْءِ الضَّيمِ مُـــحْتملُ
كَـــأسُ الشَّهادةِ دَارتْ في أَكُفهم   كأنما الشَّــــهْدُ ذا الكَأْس الذي نَهلُوا

(سعدي، ١٩٨١، صفحة ٧٥)

ومن المغرب العربي فإننا نستطيع أن نضيف الكثير من أسماء الشعراء المغاربة، وقد اتخذوا من الثورة الجزائرية قضية لهم، إلا أنهم تفردوا في بعض من قصائدهم بالبعد المغربي، فكان النسيج الشعري يلف في حياض الوحدة المغربية، وهذا الطرح ليس بدعا عندهم؛ لأن المطالبة بالوحدة "حصيلة مشاعر الناس وتفكير النخب وإيحاء الظروف المحيطة، ولقد كانت قضية الأمة العربية منذ ميلاد الوعي القومي المشتبك مع حركة التتريك وإلى حد الآن، هي تحقيق هدف التوحيد القومي"، (مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١١، صفحة ٦١)، ومن الأصوات المغاربية التي راحت تحيك في النسيج الشعري أنساق الوحدة المغربية نذكر الشاعر التونسي محمد المرزوقي، وقصيدته التي يقول فيها:

الله أكبـــــر في صعيد واحــــــد   هذا شباب المغرب المتساند
قــــــد أيقظته من الزمان حوادث   فــسعى إلى تهديم كل تباعد
وإلـــــــى إعادة وحــدة ميمونة   نبني بها صرحا لمجـــــد تالد
ما تونس والمغرب الأقصى وما الـ   أخت الجزائر غير شعب واحد
جــــمعت عناصره القرابة في الدما   في الدين في لغة لجـــــد ماجد
فـــــــي وحدة موروثـــة موثوقـة   ترك الجــــــدود تراثهـا للحافد

(مرزوقي، ١٩٦٦، صفحة ٦١)

إلا أن الوحدة العربية، والمغربية، والإفريقية تبقى حلما ضائعا في العالم العربي، حيث اكتفت طبقة النخبة ومنهم الشعراء بتشرب طروح الساسة، ليصعب عليهم النزول بها إلى أرضية الواقع لتحيينها، فتبقى أحلاما مستقبلية تموقعت وتقوقعت داخل الخطاب الشعري.

عود آخر إلى شعراء العراق، وقد تمظهرت معهم نسق مناهضة فرنسا الاستعمارية، وهذا ما نقرأه في قصيدة الشاعر اسماعيل القاضي(١٩١٩م–؟؟)، المعنونة بـ: "يا فتاتي"، يقول الشاعر:

يا فَتاتِي دَعي الدَّلاَل وحالي ...
فهي دُنيا ليستْ بدنيا الدلالِ
أنا كالنار آخذٌ باشتعالِ
حَطمَتْني برزء قومي الليالي
ففُؤادِي بجرحهم ذو اعتلال
يا فتاتي إن أَجْفُ .. أرْجُو احتمالي
حيث قومي صرعى السِّهَام الدوامِي
ها هنا ... ها هناك والظلم طام
يا فَتَاتي في المغرب اليوم ظُلم
ففرنسا تَجُور والجُور عُقم
ليس كالحق خَالد فيه غنم
هو أبْقَى مما به .. قد يلم

(سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، ۱۸۸۱، صفحة ۲۵۵، ۲۵٦)

الصورة مؤسسة على ثيمة مناهضة الاستعمار الفرنسي وما أراقه من دماء الجزائريين، وقد ألبسها الشاعر من أثواب الأدبية الرمز، حيث استعمل لفظة "فتاتي"، وأراد بها الشاعر دلالة "الجزائر"، ولئن سجل الشاعر حضور الرمز بقوة في قصيدته، فإننا نقول بأن تفعيله في النسيج الشعري في الحقيقة لا يتعارض مع قضية الالتزام لدى الشعراء، كما إن بناء الخطاب الشعري على الرمز يعد من سمات الحداثة التي طبعت القصيدة العربية المعاصرة.

ويبقى للحديث المزيد من البوح، وإن كان سيصب جميعه في ما يمكن تثبيته من نتائج هذا العنصر، حيث نسجل حضور الشعراء العرب من المشارقة والمغاربة على حد سواء، وذلك من خلال موقفهم من الثورة الجزائرية، وقد تمظهر ذلك ضمن أنساق متنوعة ومتعددة الأطياف خضعت في ذلك إلى مجموع الأسيقة التي أنتجت خطاباتهم الشعرية. أما الأدبية فقد تنوعت صناعتها بين الأنموذج البلاغي الكلاسيكي وقد أطرته البلاغة العربية التراثية محصورة ضمن قوالب الاستعارة والتشبيه والكناية، وبين الأنموذج البلاغي الجديد، وقد تفرد به أهل المشرق سبقا كإنجاز تاريخي تتزي به أثواب القصيدة العربية الحرة في العصر المعاصر، ومن قوالبها حسب ما مر معنا الأسطورة والرمز.

۲.۲ الثورة الجزائريّة في الشّعر الجزائري:

مع اندلا ع الثورة الجزائرية ليلة أول نوفمبر ١٩٥٤م، احتضنها الشعراء الجزائريون وراحوا يسجلون مواقفا لهم معها، وقد تمظهرت ضمن أنساق: التغني بالحرية، الاستقلال، ....، فضلا عن التطرق إلى شحذ الهمم، استنهاض العزائم، تخليد الثورة، تمجيدها، التغني ببطولاتها، الاحتفاء بأبطالها (بسو، ۲۰۲۱، صفحة ٤٥٠). والملاحظ على هذه التمظهرات أنها قد شهدت التعدد والتنوع، كما خضعت في ميلادها إلى أسيقة جزائرية محضة تعود إلى أوضاع مخصوصة في مرحلة حرجة من تاريخ الجزائر، ومن بين هؤلاء الشعراء الذين سخّروا أقلامهم وقرائحهم للثورة الجزائرية نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر: مفدي زكرياء، محمد العيد آل خليفة، محمد الأخضر السائحي، موسى الأحمدي نويوات، أبو القاسم سعد الله، ...إلخ.

أول الشعراء ذكرا مفدي زكريا(۱۹۰۸م – ۱۹۷۷م)، فهو شاعر الثورة الجزائرية المباركة بلا منازع، ولسانها محليا وعربيا ودوليا، احتضنها ليُبيِّن موقفا له مع هذه الثورة، مستخدما في ذلك قوة الكلمة، وقد نظم مفدي زكريا في ذلك عديد روائع، نستشهد منها بأنموذجه "الذبيح الصاعد"، أراد به الشاعر نسق التغني بأبطال الثورة، تحديدا البطل الثوري الشهيد أحمد زبانة بسبب إعدامه بالمقصلة من قبل الاستعمار الفرنسي، ليلة ۱۸ جوان ١٩٥٦، يقول الشاعر:

قـــــامَ يختال كالمسيحِ وئــيدَا   يـتهـادَى نـشوان يَتلُو النشيدَا
باسمَ الثغرِ كالملائكةِ أو كالطّـ   ـفلِ يَستقبـلُ الصباحَ الجديدَا
شَـامخـًا أنـفـه جَلالا وتيهًا   رافعًا رأسَـه يُنـاجي الخُلُـودَا
رَافلاً في الخلاخلِ زَغردتْ تَمـ   ـلأُ مـن لَحْنها الفضاءَ البعيدَا
حَــالما كالكليمِ كلمه المجـْ   ـدُ فشـدَّ الحبالَ يبغي الصعودَا
وتَسامَى كالروحِ في ليلةِ القـدْ   ـرِ سَلامًا يُـشعُّ في الكونِ عيدَا
وامْـتطَى مَذْبحَ البُطولةِ مِعْـ   راجا ووافى السماءَ يَرجو المزيدَا
وتَـعــالَى مثل المؤذّن يتلُو   كـلمـاتَ الهُـدى ويـدعو الرُّقودَا

(مفدي، ۲۰۰۷، الصفحات ١٦-١٧)

الصمود، القوة، الشجاعة، الثبات، ... عند الشهيد أحمد زبانة وهو بين أيدي أعدائه، ما هي إلا صورة للقيمي، للمثالي عند ابن الثورة الجزائرية، ولإبرازهما في النص استعان الشاعر بالبلاغة التراثية التشبيه تحديدا وبنسبة أكبر في هذا المقطع الشعري لرسم الدلالة التي يريدها، وبما أن القيمي والمثالي مع مفدي زكريا قد أخذت حضوريا "ذلك الطابع الإزدواجي الذي يجعل منها [أي القوة، الصمود..] تعبيرا أو حصيلة لكل القيم والمثل الإيجابية الماضية لكفاح الجماهير، وللقيم، والمثل، والتحديات التي تحكم العصر والواقع المتواجدة فيه"، (حمانة، ۲۰۱۲، صفحة ٥٧) فإن الشهيد أحمد زبانة قد رضع إلى حد التشبع من كل قيمها ومثلها، حتى كان على مستوى التفكير، العمل، القول، حتى الحركة، إيمانا عميقا بما آمنت به الثورة عينها وقامت عليه، فيؤول الحال إلى أن يصير الشهيد زبانة والثورة وجهان لعملة واحدة.

وإن جئنا إلى الشاعر محمد العيد آل خليفة (١٩٠٤م – ١٩٧٩م)، فإن الموقف معه قد اتخذ نسقية ترغيب الجزائريين في الجهاد والتضحية في سبيل تحقيق الحرية، مع بيان مكانة الشهيد عند ربه، يقول الشاعر:

دعا صُورُ إسرافيلَ من مات للنشر وأقبـــلَ يومُ البعث يزخَــرُ بالحشْرِ
وأشرق نور الله في الأرض فانْتَفض مـــن الموت حيًّا واطَّرح حفـرة القبرِ
فقُـــمْ قومة الأبرارِ للخُلْــدِ آمنا من الخوفِ طَلْقَ الوَجْه مزدهر البشر
وســـارع إلى أخـذِ الثوابِ فإنـه عظيمٌ على قــدْر ارتفاعِك في القدر
حباك الفـــدَا أجر الفدَا فاغْتبطْ به وحسبُــك باستقلال أرضك من أجْر

(آل الخليفة، ۲۰۱۰، صفحة ٣٩٤)

يعزز الترغيب في التضحية والجهاد والشهادة فكرة حب الوطن الذي تحلت بزينتها قلوب الجزائريين، حيث "حب الوطن وتعلق الإنسان بقومه وقوميته ليسا من الأمور المصطنعة، بل إن ذلك نزعة أصيلة في كل إنسان سوي، ولا يكون خارج هذه الحالة الشعورية السامية إلا من فقد الأهلية أو من ضعفت إرادته، وتم إغراؤه بمكاسب فردية.. وإذا به يسلك طريق العمالة والارتهان لأجنبي أو لعدو على حساب وطنه وقوميته" (السحمراني، ۲۰۱۳، صفحة ٦١).

وعندما حققت الثورة الجزائرية نصرها العظيم على الاستعمار الفرنسي، هب الشعراء الجزائريون ينظمون قصائدهم ولكن هذه المرة تبلور الموقف ضمن نسق الفخر بالنصر المجيد الذي حققته الثورة، وتهليلا بالحرية التي ضحى الجزائريون بدمائهم وأرواحهم من أجلها، فـ "جند النضال يستحقون الفخر بعدما حققوا النصر الأكبر للجزائر، ففي ذلك اليوم رفع علمها خفاقا في سماها، ورفرفت الحرية بأجنحتها حول ربوعها المحررة"، (عزّاني، ۱۹۹۷-۱۹۹۸، صفحة ٥١) وفي سياق مشاطرة الجزائر والجزائريين فرحة النصر والاستقلال، يقول الشاعر موسى الأحمدي نويوات (١٩٠٣م – ١٩٩٩م) وهو واحد من شعراء الثورة الجزائرية:

اللهُ اللهُ أكْـــبــرْ شَـعبُ الأُبَاةِ تحرَرْ
مِمن طغَى وتَجبرْ اليومَ يا شعبُ فافخرْ
بِـما كَـسبْـتَ اقْـتـدارَا

(نويوات، ۱۹۸۹، صفحة ۱۲)

سواء أكان الشعراء الجزائريون داخل الوطن أم خارجه، فإنهم قد ثبّتوا مشاركتهم في صناعة الموقف مع الثورة المظفرة في شعرهم، والباعث على ذلك هو الحس الوطني الذي تشبعوا به قبل الاندلاع وبعده، فجعل الشعراء يعبرون عن "هموم وطنهم بأشكال مختلفة، لكنها جميعا حملت الحس الوطني القومي الثوري من مطلع العشرينات في مواكبة الحركة الوطنية حتى اندلاع الثورة المسلحة التي بشر بها الشاعر الجزائري واحتضنها مهللا للانتصار الذي جسده الاستقلال في (جويلية ١٩٦٢م)" (ابن

قينة، ۲۰۱۷، صفحة ۸۰). ومن الشعراء الذين رافقهم ذلك الحس الوطني وهم خارج الوطن نذكر الشاعر أبو القاسم سعد الله(۱۹۳۰م — ۲۰۱۳م)، فعلى الرغم من أنه كان في مصر إلا أنه سجل مشاركته في شعر الثورة الجزائرية الكبرى، فـ "كيف لا يحارب بسلاح الشعر جهرا والجبال كلها قد تحولت إلى غابة كبيرة من البنادق والمدافع المصوبة نحو رؤوس المعتدين ولعنات ترجمهم ومعاول تحصدهم والمئات من المقاتلين الفدائيين ومن المدنيين يسقطون كل يوم في الحرب غير المتكافئة مضرجين بدمائهم في سبيل تحرير هذا البلد العريق في عروبته وحضارته"، (فتح الباب، د.ت، صفحة ۲۰۰)

مع أبي القاسم سعد الله، تأتي مشاركة الثورة بدءا من العتبات النصية والتي يمثلها العنوان والإهداء، فديوانه عنوانه: "النصر للجزائر"، يحمل عديد أغراض كالدعاء، الفخر، التمجيد،...إلخ لهذه الثورة، أما الإهداء فجاء فيه ما نصه: "باسم هؤلاء، باسم قرابين الحرية في ثرى الأوراس وجرجرة والونشريس والأطلس، باسم الأرض الثائرة، المتمردة على النار والقيود والسياط، باسم الجزائر الزاحفة إلى الفجر... إلى النصر الأكبر، باسم هؤلاء جميعا كتبت قصائدي، وإليهم جميعا أقدمها، في عناق الحرية الأبدي. سعد الله، القاهرة ۱۷ .٤. ۱۹٥۷" (سعد الله، ۱۹۸٦، صفحة الإهداء)، إن الميل إلى هذا بسبب النزعة الوطنية التي استحوذت على لب الشاعر، ومن قصائد أبي القاسم سعد الله نختار نصّا موسوما بـ: "ثورة"، نظمه الشاعر عندما اندلعت الثورة الجزائرية ليلة الفاتح من نوفمبر سنة ۱۹٥٤، والموقف هنا يتمظهر ضمن نسق التغني بالثورة، حيث يقول الشاعر:

كَانَ حلما واخْتمارْ
كان لحنًا في السنينْ
كان شَوقًا في الصُّدورْ
أنْ نَرى الأرضَ تَثورْ
أَرضُنا بالذات أرض الوَادِعِينْ
أرضُنا بالذات أرض الكُرَمَاءْ
كان شوقًا، كان لحْنًا، كان حُلْمًا
أن نرى الأرض تثورْ
أن نرى الأفيونَ نارًا في العيونْ
غير أن الليلةَ اللَّيْلاَءَ شَقَّتْ عن ب بطولهْ
والنداءُ الحر قد هزَّ الرجولهْ
والشتاءُ السَّادِرُ المقْرُورُ قد عاد ضِرَامْ
والولاءُ الوافر المخْدُورُ قد عاد انتقامْ
(سعد الله، ۱۹۸٦، الصفحات ۲۹-۳۲)

لئن أخذنا صورة التغني بالفاتح من نوفمبر ومنه التغني بالثورة الجزائرية لأنها سليلته، فإننا نقول بأن ذلك التغني مستحق؛ ذلك لأن "الميزة التي تميز بها حدث نوفمبر ۱۹٥٤، عن غيره من كل الانتفاضات والمقاومات الوطنية التي سبقته، والتي مكنت له دون غيره من اقتلاع جذور الاستعمار ورموزه نهائيا من الجزائر ومن العديد من الدول الإفريقية والعربية"، (حمانة، ۲۰۱۲، صفحة ۱۱٥).

ويبقى للشعراء الجزائريين مواقف فيما نظموه من قصائد في الثورة الجزائرية، هذه النتاجات الإبداعية التي لا يحصرها عدٌّ خاصة مع هذه الأوراق البحثية لسعة الموضوع وغزارة المادة، إلا أن الأهم أنه بإمكاننا التأكيد على المزيد من الأنساق التي

تمظهرت من خلالها مواقف الشعراء الجزائريين، حيث يمكننا استزادة صورة استنهاض الهمم، صورة العروبة، صورة الإسلام ..إلخ. وإذا كان هناك التزام للشعراء ببعض المواقف المتعددة الأنساق، إلا أن هذا الالتزام لا يلغي أدبية هذه الخطابات الشعرية، فهذه الأدبية وإن تحققت في النسيج النصي فإنها ليست هي الأهم في الصناعة الشعرية؛ لأن كل أدبية محققة في أغلب القصائد وردت فيها عفو الخاطر، وعلى وجه أخص مع شعر الشعراء الجزائريين، لأن تركيزهم كان منصبا أكثر على المضمون/ القضية / الفكرة / الموقف أما الصناعة الأدبية فهي ليست محل اشتغال الشعراء الجزائريين. هذا من جهة، ومن جهة أخرى ما تحقق في النسيج الشعري من أدبية في الأغلب الأعم مبني على توظيف البلاغة التراثية، وما اشتملت عليه من صور.

خاتمة:

الشعر العربي الذي نظم في الثورة الجزائرية كثير، وسيبقى على مدى التاريخ خطابا شعريا لا يكفيه احتواؤها، وإنما كان فضاء لترجمة التزام الشعراء بمواقف مخصوصة مع الثورة الجزائرية، سواء تعلق هذا الطرح مع شعراء الجزائر، أو شعراء المغرب و المشرق العربيين، ولقد ترتب عن التطرق إلى هذا مجموعة من النتائج، نذكر منها:

✓ أولا: نسجل التحام الشعراء العرب مع الثورة الجزائرية في كل العالم العربي.

✓ ثانيا: تنوع أقطار العالم العربي الذي انبثقت منه قصائد الاحتواء للثورة، فكانت هناك انبثاقات من المشرق العربي وأخرى من مغربه، على سبيل التمثيل لا الحصر، لدينا من سوريا، العراق، الأردن، تونس...، فضلا عن شعراء الجزائر الذين هبوا من وطنهم لاحتضان الثورة في أشعارهم.

✓ ثالثا: من النتائج أن أبدى الشعراء في خطاباتهم الشعرية العربية المعاصرة مواقف مع الثورة الجزائرية.

✓ رابعا: المواقف التي اتخذها الشعراء العرب مطبوعة بالالتزام، فكانت الكلمة التي هم قائلوها.

✓ خامسا: مواقف الشعراء كانت ضمن أنساق متنوعة ومتعددة الأطياف خضعت في ذلك إلى مجموع الأسيقة التي أنتجت مجموع الخطابات الشعرية، ومنها نورد نسق المساندة مع جميل حافظ، المشاركة الوجدانية مع نزار قباني، التغني بالفاتح من نوفمبر مع أبي القاسم سعد الله، التغني بالوحدة المغربية مع محمد المرزوقي، الترغيب في الاستشهاد مع محمد العيد آل خليفة.

✓ سادسا: الاشتغال الأول في الصناعة الشعرية أساسه الالتزام بالموقف مع الثورة الجزائرية، إلا أن هذا لا يلغي أدبية الخطاب الشعري العربي المعاصر، وقد تلون بين تأثيثات البلاغة الجديدة من أسطورة ورمز، وبين البلاغة الكلاسيكية من تشبيه، واستعارة ومجاز.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن منظور. (۲۰۰۸). *لسان العرب*. لبنان: دار الكتاب.
- أبو قاسم سعد الله. (۱۹۸٦). *النصر للجزائر*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- أبو هلال العسكري. (۲۰۰٦). *الصناعتين الكتابة والشعر*. صيدا، بيروت: المكتبة العصرية.
- أحمد شوقي. (۲۰۲۰). *الشوقيات*. المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.
- أسامة إفراح. (٦ جويلية, ۲۰۱۸). *شعراء..عشقوا نسائم الحرية وفرحة الاستقلال*. تاريخ الاسترداد ۱۲ جانفي, ۲۰۲۲، من http://www.ech-chaab.com/ar.html
- اسعد السحمراني. (۲۰۱۳). *العروبة والإسلام*. بيروت، لبنان: دار النفائس.
- اسماعيل سامعي. (۲۰۱۲). *فلسفة التحرير والتغيير في الوطن العربي الثورة الجزائرية نموذجا*. قسنطينة: منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية.
- البخاري حمانة. (۲۰۱۲). *فلسفة الثورة الجزائرية*. وهران، الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع.
- السياب بدر شاكر. (۲۰۱۵م). *ديوان أنشودة المطر* . القاهرة، مصر : مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة .
- العارم عزّابي. (۱۹۹۷–۱۹۹۸). موسى الأحمدي نويوات حياته وآثاره. *بحث مقدم لنيل شهادة الماجستر*. قسنطينة، الجزائر.
- بك أولريش. (۲۰۰۱). *هذا العالم الجديد رؤية مجتمع المواطنة العالمية*. (دودو أبو العيد، المترجمون) ألمانيا: منشورات الجمل.
- حسن فتح الباب. (۱۹۹۷). *مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية*. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
- حسن فتح الباب. (د.ت). *شاعر وثورة*. سوسة، تونس: دار المعارف للطباعة والنشر.
- حمزة بسو. (۲۰۲۱). مدارج الثورة في الشعر الجزائري المعاصر. *القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية*.
- روزين فاديم. (۲۰۱۱). *التفكير والإبداع*. (نزار عيون السود، المترجمون) دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية.
- زكريا مفدي. (۲۰۰۷). *اللهب المقدس*. الجزائر: موفم للنشر.
- صلاح الدين لهواري. (۲۰۰۹). *شعراء المهجر الشمالي*. بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- عبد الكريم بكار. (۲۰۰۰). *تجديد الوعي*. دمشق: دار القلم.
- عثمان سعدي. (۱۸۸۱). *الثورة الجزائرية في الشعر العراقي*. بغداد، العراق: دار الحرية للطباعة.
- علي حرمل. (۲۰ أفريل, ۲۰۱۳). *المحور: الثورات والانتفاضات الجماهرية*. تاريخ الاسترداد ۱٦ جانفي, ۲۰۲۲، من https://www.startimes.com/f.aspx?t=۲٤۳٥٤٥۲۱
- عمر ابن قينة. (۲۰۱۷). *في الأدب الجزائري الحديث*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- مجلة الآداب. (أبريل, ۱۹٥۸). *السنة السادسة*.
- محمد العيد آل الخليفة. (۲۰۱۰). *ديوان محمد العيد آل الخليفة*. عين مليلة، الجزائر: دار الهدى.
- محمد مرزوقي. (۱۹٦٦). *بقايا الشباب*. تونس: الدار التونسية للنشر.
- مركز دراسات الوحدة العربية. (۲۰۱۱). *المشروع النهضوي العربي نداء المستقبل*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- مطران خليل. (د.ت). *ديوان الخليل*. لبنان: دار مارون عبود.
- موسى الأحمدي نويوات. (۱۹۸۹). اليوم يا شعب فافخر. *الشعب*.
- نزار القباني. (د.ت). *الأعمال السياسية الكاملة*. بيروت: منشورات نزار القباني.

* تحمل لفظة "ثورة" معنى التغيير والتمرد في العصر الحديث؛ إحداث تغيير على مستوى النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وهدفها الأسمى يتمحور حول المساواة والعدل والحرية. ويعود أصل كلمة révolution إلى مجال الفلك، إذ " تشير الكلمة إلى حركة دائرية متكررة وعندما نقلت إلى المجال السياسي كان معناها تعاقب الحكومات والدول في دورة لا يمكن للبشر تبديلها وتغييرها"، ونشير هنا إلى وجود صيغة "ثورة" في المعجم العربي وجذرها إلاّ أنها لا تؤدي معنى سياسيا، " لذلك استعار العرب مفهوم الثورة من الخطاب السياسي الفرنسي على وجه الدقة" (حرمل،

٢٠١٣). ومن أشهر الثورات ضد الاستعمار نذكر الثورة الجزائرية، انطلقت شرارتها الأولى في الفاتح من نوفمبر سنة ١٩٥٤م، كانت ضد الاستعمار الفرنسي، ضحى فيها الشعب الجزائري بالنفس والنفيس، كانت الغاية من هذه الثورة هو تحقيق الاستقلال، وقد كان ذلك سنة ١٩٦٢م.

** ذكرت الثورة في الشعر والنثر، أما هذا الأخير فهو شكل من أشكال الفن الأدبي، ولقد كتب الأدباء الجزائريون أدبا بلسان عربي وفرنسي يعبرون فيه عن معاناة ومآسي الشعب الجزائري من ويلات الاستعمار الفرنسي، كما ساندوا الثورة، ومن ذلك كتابات أحمد رضا حوحو، البشير الابراهيمي، ..إلخ. أما ما كتب بالفرنسية فنذكر الأعمال الأدبية لمحمد ديب ، فهي كلها تتمحور حول معاناة أفراد المجتمع الجزائري تحت السيطرة الفرنسية، خاصة تلك الأعمال التي ظهرت على شكل أجزاء في السنوات ١٩٥٢،١٩٥٤،١٩٥٧ المتمثلة في:

(الدار الكبيرة) (La Grande Maison)،وصف محمد ديب من خلال هذا الجزء الفقر المدقع الذي كانت تعاني منه الطبقات العاملة في الجزائر

(الحريق)(l'incendie)، اكتشف البطل في هذا الجزء، أن أهل الريف يحسّون بالمحنة نفسها التي يحسها أهل المدينة، وشاهد البطل الحريق الذي بدأ ولن يتوقف حتى يأتي على البلاد كلها.

(المنسج) (Le métier à tisser) وهو الجزء الأخير الذي يتحدث عن عُمَر، بطل الدار الكبيرة والحريق، شاب مراهق، رمز للتمرد الجزائري، إذ يكتشف ويقترب هذا الشاب، في الجزء الأخير من ثلاثية محمد ديب، من معاناة أهله والشعب الذي ينتمي إليه، من خلال استماعه لآراء زملائه النسّاجين حول الأوضاع التي يعيشها الشعب الجزائري تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي، ليبرز شيئا فشيئا، تحت تأثير الحاجة إلى تنفس الهواء، ميلاد روح الشعب الثائرة. يقول محمد ديب: « il avait soif d'air ».

كما تحمل الأعمال الأدبية الخاصة بكاتب ياسين، التي ترجمت من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية، معاناة الشعب الجزائري، بمختلف أفراده، وهو يئن تحت سيطرة المستعمر، وقد عبّر عن ذلك بلغة المستعمر التي يعتبرها " غنيمة حرب" « Le Français est notre butin de guerre »، كتب "كاتب ياسين" بقلم يعبّر باللغة الفرنسية إلا أن أعماله الأدبية لم تفقد بعدها وعمقها الجزائري، وتعد "نجمة" « Nedjma » من أشهر رواياته إلى جانب "المضلع النجمي" « Le Polygone étoilé » و كذا مسرحية " الجثة المطوقة" « le cadavre encerclé » و" الرجل ذو النعل المطاطي" « l'homme aux sandales de caoutchouc »، و "محمد أحمل حقيبتك" « Mohammed prends ta valise »وغيرها من الأعمال.

*** يعدّ الشعر من الآليات التواصلية التي يستعين بها المتكلم من أجل التأثير على الآخر، حيث يتمّ اللجوء في نظمه إلى استعمال وزن دقيق وكلمات معبّرة يشدُّ وقعها في الآذان، فـ" الشعر منظوم القول، غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية" (منظور، ٢٠٠٨، صفحة ٦٣٨)، لأنّ الشعر عند العرب، بصفة عامة، كلام موزون مقفى يمتاز بالكلام البليغ، والمعاني الدقيقة المبنية على صوّر شعرية تحمل فكرة الشاعر التي تكون موزونة ومنظّمة على إيقاع موسيقي يؤدي إلى التأثير بعُمقٍ في المتلقي، لذا يقول أبو هلال العسكري: " إذا أردت أن تعمل شعرا فأحضِر المعاني التي تريد نَظْمَها فِكْرَك، وأخطِرها على قلبك، واطلب لها وزنا يتأتّى فيه إيرادُها وقافيةً يحتملها؛ فمن المعاني ما تتمكَّن من نَظْمِه في قافية ولا تتمكّنُ منه في أخرى، أو تكون في هذه أقربَ طريقاً وأيسر كُلفة منه في تلك؛ ولأنْ تعلُوَ الكلامَ فتأخذه من فوق فيجيء سلساً سهلاً ذا طُلاوة ورونق خيرٌ من أن يعلُوكَ فيجيء فجًّا ومتجعدًا جلفا" (العسكري، ٢٠٠٦، صفحة ١٢٧).